العلاقة بين الموسيقى والمسرح في فن الأوبرا

*محمد علي رضا الملاح، علي فياض ربيعات**

ملخص

رغم تداخل الفنون بعضها على الاخر، إلا انها تتلاقى في نموذج الاوبرا، وقد نجح موسيقيين في خلق التوازن بين عناصر الفنون ومنه االموسيقى والمسرح، ان مدى الترابط بين عناصر الفنون يكون دائم الوضوح لدى الفئة المتخصصة في مجالها، جاءت هذه الدراسة المتواضعة لبيان مدى هذا الترابط بين الموسيقى والمسرح ثم نعرض نبذة عن المسرح ونشأة المسرح الغنائي ثم الأوبرا وذلك من الحقبة اليونانية والرومانية ثم العصور الوسطى إلى العصر الرومانتيكي مع الأخذ بآراء أهم الفلاسفة والنقاد.وذلك لبيان لعلاقة بين الموسيقى والمسرح على مر العصور.

الكلمات الدالة: الموسيقى، الأوبرا، الدراما، المسرح، المسرح الغنائي.

المقدمة

إن أسباب ارتباط الدراما المسرحية بفنون الغناء والرقص يرجع إلى عدة أسباب منها أن هذه الفنون جميعها فنون أدائية مما يجعل بينها تقارب طبيعي يتيح مساحة للارتباط الفني، بالإضافة إلى أن الغناء والرقص يلاقيان إعجاباً شعبياً واسعاً لما يحققاه من متعة وتسلية وترفيه على أعلى مستوى، خاصة مع استجابتهما للإيقاعات المتنوعة،" فالغناء يؤثر فى المشاعر والأحاسيس خاصة إذا كان صادر عن مطرب محبوب يملك صوتاً وشخصية آسرين، والرقص يثير الإعجاب بشدة خاصة إذا كان صادر عن جسد راقص موهوب ومدرب تدريباً جيداً يتسم بالجمال والرشاقة والتناسق بين مكوناته، ولنا أن نتخيل ما يمكن أن يحققه مثل هذا الراقص من متعة بصرية وترفيهاً كبيراً حين يُؤَدِى بمفرده أو يُؤَدِى في هارموني مع مجموعة راقصين يتحركون في وحدة وتناسق" (عبد المنعم، 2010، الأدب والفن).

اقدم المسرحيات التي عرفها الوجود في ظل كيانها المستقل هي المسرحيات الإغريقية، وكانت لنشأتها في بلاد اليونان علاقة بعقائدهم، امتاز إنتاج الإغريق بالخيال الخصب بالأساطير ذات المغزى الفلسفي العميق أدباً ذا خلود وفكراً عميقاً عاش على مر العصور. "اما كلمة موسيقى فهي معربة من كلمة إغريقية كانت تطلق على آلهة الفنون الجميلة وتعني"العلم والفن معاً" "(سليمان، 2005، ص 115). "ادخل ارسطو فن الموسيقى وجل صناعة العزف بالناي والقيثارة كنوع من المحاكاة للصوت والإيقاع والانسجام واللحن والوزن مثل الديرمبوس والنوموس المأساة والملهاة" (المزروك، 2013، ص12). ويضيف ارسطو "ان الدور الذي تلعبه كل من الموسيقى والرقص والمشهد والتمثيل هي وسيلة وقناة تتم من خلالها توصيل الشاعر عواطفه ومشاعره إلى المتفرج" (كارلسون، 2010 نص 85).

لم يكن للرومان اهتمام في بداية حياتهم بالأدب والفنون، بل كان يسيطر عليهم الطابع العملي والعسكري ونجد ان الرومان قد الغوا تقاسيم المسرح الإغريقي الثلاثي (الاودوتوريوم، والأوركسترا، والمسرح) واستعاضوا عن ذلك بأسوار دائمه للمسرح، وأعطى (هوراس65 – 8 ق.م) عدة ملاحظات حول الدراما منها على الممثل أن لا يغنّي بين الفصول غير ما يخدم غرض المسرحية ويناسب مقامه تماماً.

ومع ظهور المسيحية سيطرة الكنيسة على النواحي العامة واصبحت الموسيقى من الطقوس الدينية المهمة.ثم اصبحت الحركة الثقافية في عصر النهضة مغايرة للعصور الوسطى. مع ضعف السطوة الكنسية وتحرر الفن من الافكار المتزمتة والمتشددة. لقد جاءت المسيحية والكنيسة في العصور الوسطى واصبحت الحياة المدنية وادخلت مزايا للدراما، كالموسيقى الدينية.

"ارتبط الغناء منذ أقدم العصور بالنصوص التي يتبعها ويخدم معانيها ومفهومها، واتخذ الغناء في بادئ الأمر طابع الغناء المرسل (Recitative) التلاوة المنغمة، والذي راح

* قسم الموسيقى، كلية الفنون الجميلة، جمعة اليرموك، الأردن. تاريخ استلام البحث 2015/10/07، وتاريخ قبوله 2015/11/26.

© 2017 عمادة البحث العلمي وضمان الجودة/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

ضحيتها الكونترابونت• في سبيل الوضوح وكذلك ما كان يساء في استعمال أسلوب البوليفوني•" (زاكس، 1964، ص247)، ومنذ ان دخلت المسيحية اوروبا انقسم الغناء إلى تيارين نبع احدهما من الكنسية (الغناء الديني) والآخر من الشعب (الغناء الدنيوي). "مر الغناء الديني في تطوره بمراحل الاورجانوم•والكونترابونت والبوليفوني في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ومن أشهر من ساهموا في كتابة الموسيقى الدينية جيوفاني بيير لوجي بالسترينا الذي خلص موسيقى الكنيسة من تزمت المتعصبين، ويوهان سيباستيان باخ". (الشوان، 1979، ص123) والذي كان قيمته في:

1. القداس (Masse) غناء الطقوس الدينية.
2. الكنتاتا (Cantata) غناء جماعي بمرافقة الأوركسترا.
3. الاوراتوريو (Oratorio) غناء فردي وجماعي بمرافقة الأوركسترا تروي قصص دينية.

أما الغناء الدنيوي فقد مر في تطوره بمراحل الاورجانوم والكونترابونت والبوليفونى أيضاً وخضع لوسائل معالجة ونماء الألحان، كما وتأثر بجماعة المغنيين المتجولين التروبادور (Troubadour). ثم "عرف المادرجال (Madrigal) وهو نوع من الغناء يتميز عن الأغنية الدنيوية والشعبية بأسلوب رشيق يتناول القصص الملحمي ويتطلب مقدمة وفواصل تتخلله بعض الرقصات. وبذلك يحتوي على جذور الغناء الدرامي الذي يؤدي إلى المسرح ويسمى الأوبرا" (الشوان، 1979، ص124). ومفهوم الدراما لغة: كلمة إغريقية يرجع اشتقاها إلى الفعل (Dran) وكلمة الدراما (Drama) الذي يعني عند الإغريق الفعل (العروس، 1986).

والتعبير الفني عن الفعل مرد ذلك إلى سببين:

أولاً: أن الدراما فعل والفعل من اكثر عناصر الدراما غموضاً.

ثانياً: إن المجال الذي تمارس الدراما فيه فاعليتها واسع ومتعدد الارجاء، مما اتاح لها امكانية التوفر أو ضرورته في مجمل الأتساق الفنية الموجودة ومن ثم تعدد السياقات الفنية الدرامية.

المسرح: المسرح لغة "هو الموضع الذي تسرح إليه الماشية بالغداة للرعي (الباحث العربي، لسان العرب"،http://www.baheth.info/all.jsp)، وسَرّح عنه فانسرح: فرّج، ويفهم من التعريف اللغوي ان المسرح مكان للراحة وتفريج ما للإنسان من ضيق وهو ما يحققه المسرح الحديث من أهداف.وهو اجتماع عام يدعى له عامة الناس في مكان وزمان محدد، يشترك فيه إحساس جماعي للحوار والمناقشة في قضية ما، وتشارك فيها عناصر متعددة منها اللغة (الشعر أو القصة) واللحن (الموسيقى أو الغناء) ولغة الإشارات (الايماء).

المسرح الموسيقي الغنائي: هو شكل من أشكال الأداء المسرحي الذي يجمع بين الغناء والحوار والتمثيل والرقص، وأحياناً يطلق عليها الاستعراضية، القصة الرئيسية والمحتوى العاطفي للفيلم الموسيقي يعبر عن الفكاهة، الشفقة، الحب، الغضب. وينتج من خلال الكلمات والموسيقى والحركات والجوانب التقنية الترفيهية الجميلة للجمهور. "والمسرح الموسيقي يتداخل مع أشكال المسرحية الأخرى مثل الأوبرا والرقص، وللموسيقى نفس القدر من الأهمية مقارنة مع الحوار والحركة وغيرها من العناصر. وقد ظهر المسرح الموسيقي في أوائل القرن العشرين"

https://en.wikipedia.org/wiki/Musical_theatre.

إن مدلول كلمة موسيقى: "يعنى عند الاغريق فناً مركباً من الشعر والرقص والتمثيل، وتعود نشأة الدراما بمكوناتها الاساسية الكوميدية والتراجيدية إلى الرقصات الغنائية الطقسية الدينوسوسية" (عبد الله، 2015، ص418).

ازدهرت الدراما في الحضارة الاغريقية ازدهاراً عظيماً تمثلت بفن المسرح الذي أخذ على عاتقه مهام كثيرة فهو لم يكن

رسالة للثقافة فحسب، بل كان شكلاً من أشكال الطقس التي تسهم في نشر وتعميم الثقافة الدينية والوطنية والتعليمية، ومناسبة لإستقطاب المجتمع والارتقاء به. "إذ اهتم الإغريق ببناء وعمارة المسرح ومدرجاته التي تتسع لأكبر عدد من الجمهور مثلما اهتموا بمضمون المسرح ورسالته النبيلة" (عبد الله، 2015، ص418).

يقول العالم اليوناني أثناسيوس كيرشر (Athanasius Kircher) في كتابه (Musurgia) عام 1650، "إن للموسيقى القدرة على تحريك النفس البشرية، ويجب أن يكون الهدف من الموسيقى الجيدة تحريك الروح، ويضيف حول ما يمثله من تأثير الموسيقى والمسرح على هذه النفس وعلى النشء الجديد، إن نقل ما يؤثر يحدث كعملية بين الأداء والإدراك عند المستمع أو المتلقي وما هي إلا لحظات نموذجية تعبر عن البعد الأدائي للأوبرا" (Karantonis, 2013, p 79). "وان للفن الموسيقى أهمية في التعبير عما يحتاجه الفنان من عواطف ومشاعر نحو قضيه إنسانيه أو عاطفية والكثير من السيمفونيات تُمثل ثقافة شعب أو حسه" (الهادي واخرون، 2001، ص 24). "والموسيقى هي ما ينبغي ان تستخدم على اكمل وجه للتعبير عن الانفعال الداخلي للممثل، فتأثيرها يفوق كثيرا من الحركات على خشبة المسرح" (ويلسون، 2003، ص 153).

واصطلاح المسرح الغنائي "Musical Theatre" إنما يُطْلَق على هذا النوع من المسرح الذى يحتوى على أغاني وموسيقى، ولكن بشرط أن تكون لهذه الأغاني ضرورة درامية تخدم الصراع، وتساعد على تطوره، وتنمى الحدث الدرامي، وليس على سبيل الترويح أو التزيين للعمل الدرامي. ويشير هذا الاصطلاح بهذا المعنى إلى احتواء النص على أغاني من ناحية، ويشير كذلك إلى طريقة استخدام الأداء الصوتي في العرض من ناحية أخرى، ومن ثم في امكاننا التمييز بينه وبين المسرحية اللاغنائية من الأداء الصوتي باستخدام مسمى (المسرحية الإلقائية)، حيث الإلقاء هو الأداء الصوتي الوحيد فيها، وانعدام الأغنية في النص المُؤَلَف.

يلاحظ انه في مسرح الحداثة "يوجد علاقة بين الموسيقى والاداء المسرحي لا بل له تأثير على صناع المسرح كما ذكر مصمم المسرح السويسري أدولف آبيا (AdolpheAppia)" (1862–1928) (Roesner, 2014, p23).

وربما تكون المدائح الدينية التي استها الكنيسة القديمة والتي كانت تقدم على المسارح او الساحات الخارجية الكنيسة وهي بوادر ظهور"الأوراتوريو•" (ابتهاليه) وإلى "الأوبرا" (المغناة) او اشكال المسرح الموسيقي. وتختلف الأوبرا عن الاوبريت•من حيث الأداء والمضمون فالثانية ظهرت من فن الأوبرا الفرنسية ولكنها تعتمد على الأغاني بدل الألحان وكذلك تعتمد على الحوار الكلامي بدل الحوار المُغنّى. وجميعها عرفت باسم المسرح الغنائي الدرامي.لا يمكن إلغاء الموسيقى من المنظومة الصوتية للعرض المسرحي، لأن صوت الممثل جزء من الموسيقى لو أحسن أداءه ونغماته ومخارج حروفه من قبل الممثل.كما ويختلف الأوراتوريو عن الأوبرا بانه لا يعتمد على الاعداد المسرحي لأنه عمل يقدم في الكنائس أو في قاعات الحفلات الموسيقية، ويخاطب خيال المستمع ويستمد نصوصه من الكتب المقدسة.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى عدة نقاط منها

1. إبراز اهمية العلاقة والتألف بين الموسيقى والمسرح.
2. عرض فكرة عن تطور الموسيقي والمسرح من عهد الاغريق إلى بدايات القرن الحالي.
3. التعرف على مفهوم المسرح، والمسرح الغنائي، والأوبرا، وعرض نبذة عن تاريخ المسرح الغنائي ومميزاته الموسيقية، والتعرف على نبذة تاريخية لنشأة "الأوبرا" وأنواعها وأهم مؤسسيها.

أسئلة الدراسة:

تركزت اسئلة الدراسة حول مفهوم المسرح، العلاقة بين الموسيقى والمسرح،وتاريخ نشأة المسرح الموسيقي، الأوبرا.

مشكلة الدراسة:

ان المتتبع للدراسات المسرحية يتداول لديهم السؤال الاتي: ما هي العلاقة بين فن الموسيقى والمسرح وعلى وجه الخصوص الأوبرا وأنواعها؟ مما دفع الباحث إلى هذه الدراسة محاولاً الاجابة عن هذا الأستفسار.

حدود الدراسة:

تم تحديد هذه الحدود من فترة نشأة فن المسرح الغنائي عند الاغريق ولغاية القرن الحالي. مع ادراج نبذة بسيطة ومختصرة عن العلاقة بين المسرح والأوبرا.

الدراسات السابقة:

تحدث علي عبد الله في دراسة بعنوان "جدلية العلاقة بين الموسيقى والدراما" فاجنر وبريشت أنموذجاً"وبين مدى العلاقة بين الدراما والموسيقى ونشاتهما والتي اسهمت في بناء المجتمع كما تعرض في الحديث عن شخصيتين بارزتين في الموسيقى والدراما وتأثيرهما على حركة المسرح الحديث واساليب التأليف الموسيقى المعاصر. وخلص الباحث أن ازدياد الاهتمام بالموسيقى ودورها في المسرح لا يعود بالنفع على المسرح وحسب، بل هنالك فائدة كبيرة يقدمها المسرح للموسيقى، إذ يعتقد أن الموسيقى الوطنية التي توظف توظيفاً مناسباً تؤدي بالمحصلة إلى ارتفاع مستوى الواقع الموسيقي بشكل عام، فالتأليف الموسيقي والتلحين الغنائي يتطلب ممارسة مدروسة ومبنية على أساس علمي لا على أساس فطري لأن العرض المسرحي يخضع لمفاهيم فكرية وفلسفية.كما تم الاستعانة بالعديد من المراجع الاجنبية والعربية لخدمة الدراسة.

الهوامش

1. الكنترابونت: علم تقابل الألحان اي عزف نغمتين متفقتين معاً تحكم بينهما نسب وهي التي تحكم مسافات الثامنة والخامسة والرابعة التّامّات.
2. •البوليفوني: تعدد الأصوات، أي اجتماع نغمتين أو أكثر في اللحظة نفسها، ويشتمل هذا العلم على علمي الهارموني (توافق الاصوات) وعلم الكونترابوينت (تقابل الألحان).
3. •الاورجانوم: علم توافق الأصوات بالتنظيم، ويتكون من لحن اساسي تعلو كل نغمة فيه خامستها، فيظهر لنا خامسات متوازية.
4. •هو عمل موسيقى ديني يشترك فيه الكورال والأصوات الفردية ويؤدى عادة فى الكنائس أو ملحقاتها وأحياناً فى المسارح والصالات الموسيقية، وهو يتشابه مع الأوبرا من حيث خصائصه وسماته الموسيقية فيه الأغنيات الفردية والثنائية (الأريات) وأجزاء تؤديها مجموعة الصوليست والكورال وأجزاء أوركسترالية بحتة.
5. •الاوبريت: نوع من المسرحيات الغنائية تطور الأوبريت من الأوبرا الهزلية الفرنسية ولكنه يختلف عنها في أنه يحتوي على حوار كلامي بدلاً من الحوار الغنائي، وعلى أغاني بدلاً من ألحان. وغالباً ما تكون مقدمة الأوبريت خليطاً من أغان منتزعة من العرض وليست شيئاً مؤلفاً مستقلاً كما هو الحال في الأوبرا.

المصادر والمراجع

حمام، ع. (1998). الموسيقا والاناشيد وطرائق تدريسها، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الثانية.

زكريا، ف. (1965). ريتشارد فاغنر، دار القلم، القاهرة.

الزيود، م، و ربيعات، ع. (2011). الاحتفالية في اعمال المخرج المغربي الطيب الصديقي، مجلة الفن المعاصر، اكاديمية الفنون، القاهرة، بحث مقبول للنشر.

سليمان، ن. (2005). تعلم الأطفال الدراما، المسرح، الفنون التشكيلية، الموسيقى، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.

الشوان، ع. (1979). الموسيقا للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الصقار، ف. (1988). تقديم وليد غلميّة، فن الموسيقى نشأةً–تاريخاً– إعلاماً، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الاولى.

عبد الله، ع. (2012). لغة الابداع بين القائد الموسيقي والمخرجالمسرحي" دراسة مقارنة"،المجلة الأردنية للفنون، مجلد 5، العدد 2.

عبد الله، ع. (2015). جدلية العلاقة بين الموسيقى والدراما " فاجنروبريشت أنموذجاً " مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد 42، العدد 2.

عبد الهادي، ن، الحموز، م، ابو لاوي، ص، شمعه، م، الشناوي، م، جودت، ح. (2001). الفن والموسيقى والدراما في تربية الطفل، الطبعة 1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان.

العروس، ح. (1986). الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، دار النهضة للطبع والنشر، بيروت، لبنان.

قدوري، ح. (1987). الموسوعة الموسيقية الصغيرة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد،، ص197.

مارفن كارلسون. (2010). ترجمة وجدي زيد، نظريات المسرح عرض نقدي وتاريخي من الإغريق إلى الوقت الحاضر، الجزء الأول، المركز القومي للطباعة والنشر، القاهرة.

محمد، ع. (2010). في المسرح الغنائي ارتباط الدراما بالموسيقى والغناء والرقص، الحوار المتمدن، محور الادب والفن، عدد 3150، الساعة الثامنة.

المرزوك، ص. (2013). تاريخ وأدب المسرح العالمي، الطبعة 1، دار الرضوان ودار صادق، عمان.

المصري، ا. (1973). معجم الفن السنيمائي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ويلسون، ج. (2003)، ترجمة شاكر عبد الحميد، علم النفس وفنون الأداء، الجزء الأول، جمعية الرعاية المتكاملة، القاهرة.

Everist, M, and Fauser, A. (2009). Music, Theater, and Cultural Transfer: Paris, 1830-1914, The University of Chicago Press..

Fisher, D. (2005). A History of Opera: Milestones and Metamorphoses, OPERA CLASSICS.

Karantonis, P. Symonds, Dominic. (2013). The Legacy of Opera: Reading Music Theatre As Experience and Performance, Editions Rodopi B.V., Amsterdam..

Küpper, U. (2011). William Shakespeare's A Midsummer Night's Dream in the History of Music Theater, ISSN 0935-4085 ISBN 978-3-631-60934-7 EISBN 9783653011296 © Peter Lang GmbH Internationaler Verlag der Wissenschaften Frankfurt.

LIBRARY, Opera Journeys ™ Publishing.miami.

Norland, B. and Bloemendal, J. (2013). Neo-Latin Drama and Theatre in Early Modern Europe, Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands,

Pisani, V. (2010). Music for the Melodramatic Theatre in Nineteenth-century London & New York, University of Iowa Press,

Ridley, H. (2012). Wagner and the Novel: Wagner's Operas and the European Realist Novel: An Exploration of Genre, Editions Rodopi B.V., Amsterdam - New York, NY.

Roesner, D. (2014). Musicality in Theatre: Music As Model, Method and Metaphor in Theatre-making, Published by Ashgate Publishing Limited, USA.

Runciman, J. (2010). Richard Wagner: A Short Biography, by Andrews UK Limited.

المواقع الإلكترونية:

http://www.theguardian.com/music/2011/aug/20/opera-through-the-ages.

موقع الباحث العربي، لسان العرب،
http://www.baheth.info/all.jsp?term=%D9%85%D8%B3%D8%B1%D8%AD.

https://en.wikipedia.org/wiki/Musical_theatre

https://en.wikipedia.org/wiki/Musical_theatre.

The Relationship between Music and Theater in the Art of Opera

*Mohammad A. Al-Malah, Ali F. Al-Ribat**

ABSTRACT

This study aimed at building Hebron University Quadrilateral Marital Adjustment Scale (HU-QMAS) that consists of four different situations of adjustment (marital nirvana, coexistence, marital silence, and psychological divorce). In addition to that the study investigated the psychometric properties among Palestinian spouses. The scale consisted of two forms (man image and woman image). The researcher followed the descriptive approach and implemented the scale on a random sample of 362 spouses (176 wives, and 186 husbands) from the West Bank, Palestine. Results revealed the existence of strong of internal consistency of the scale, and a significant Congruent Validity with both R-DAS and Psychological Divorce Scale. HU-QMAS Cronbach Alpha and Spearman Brown coefficients were (0.93) & (0.92) respectively. Factor analysis, using Varimax rotation, resulted four factors: these factors are Emotional Attraction, Understanding, Communication, and Social Participating. Finally, the researcher recommended further studies using the HU-QMAS in various Arab environments.

Keywords: Music, Opera, Drama, Theater.

* Department of Music, Fainarts College, Yarmouk University, Jordan. Retreived on 07/10/2015 and Accepted for Publication on 26/11/2015.